

أحمد بن عبد الملك حدثنا بكار حدثني أبي - يعني عبد العزيز بن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من مع مع الله به ومن رأى رأى الله به » وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « من يرائى يرائى الله به ومن يسمع يسمع الله به » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلا في بيت أبي عبيدة أنه مع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به ، مسامع خلقه وصغره وحقره » فذرفت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الأيلى حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بى آدم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة في صحف مخرجة فيقول الله ألقوا هذا واقتلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرا فيقول إن عمله كان لغير وجهى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهى » ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصرى ليس به بأس ، وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الحزاعى أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجرى عن أبي الأحوص عن عوف ابن مالك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر إسمايل بن عمرو السكونى حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس الكندى أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية ، وقال إنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هى مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ في ليلة: (فمن كان يرجوا لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن من أين إلى مكة حشو ذلك النور الملائكة » غريب جداً .
آخر تفسير سورة الكهف

(تفسير سورة مريم وهى مكية)

وقد روى محمد بن إسحق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشى وأصحابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعَتِكَ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً * إِذْ نَادَى * نَدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله (ذكر رحمت ربك) أى هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) وزكريا يمد ويقصر قراءتان مشهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بنى إسرائيل ، وفي صحيح البخارى أنه كان نجاريا . كل من عمل يده في التجارة . وقوله (إذ نادى) أى نادى ربه نداء خفيا) قال بعض المفسرين إنما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره ، حكاه الماوردى وقال الآخرون إنما أخفاه لأنه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفيا) إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفي ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول:

خفية يارب يارب يارب، فقال الله له: ليك ليك ليك (قال رب إني وهن العظم مني) أي ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيباً) أي اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر الغضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة ، وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أي ولم أعهد منك إلا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك ، وقوله (وإني خفت للموالى من ورأى) قرأ الأ أكثرون بنصب الياء من الموالى على أنه مفعول : وعن الكسائي أنه سكن الياء كما قال الشاعر

كأن أيديهن في القاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق
وقال الآخر ففي لويبارى الشمس ألفت قناعها أو القمر السارى لألقى المقالدا

ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

تغاير الشعر منه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال مجاهد وقتادة والسدي : أراد بالموالى العصبه ، وقال أبو صالح الكلالة ، وروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يقرؤها (وإني خفت الموالى من ورأى) بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباني من بعدى وعلى القراءة الأولى وجه خوفه أنه خشى أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه فأجيب في ذلك لا أنه خشى من وراثتهم له ماله فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده وأن يأنف من وراثته عصباته له ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه (الثاني) أنه لم يذكر أنه كان ذاملاً بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهدي شيء في الدنيا (الثالث) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح « نحن معشر الأنبياء لا نورث » وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهب لي من لدنك ولياً يرثني) على ميراث النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) كقوله (وورث سليمان داود) أي في النبوة ، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه فلو لا أنها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويشته ما صح في الحديث « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » قال مجاهد في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) كان وراثته علماً وكان زكريا من ذرية يعقوب . وقال هشيم أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يعقوب بن يوسف قال يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه ، وقال السدي يرث نبوتى ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم (ويرث من آل يعقوب) قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي ﷺ قال « رحم الله زكريا وما كان عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطاً إن كان ليأوى إلى ركن شديد » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخى زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال : هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وهذه ميراثات لا تعارض الصحاح والله أعلم ، وقوله (واجعله رب راضياً) أي مرضياً عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه

﴿ يَزُكْرِيَا إِنَّا نَبَشَّرُكَ بِعِلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) كما قال تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادت الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين) وقوله (لم نجعل له من قبل سميا) قال قتادة وابن جرير وابن جريج وابن زيد أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد (لم نجعل له من قبل سميا) أي شبيها أخذته من معنى قوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) أي شبيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام فانهما إنما تعجبا من البشارة بأسحق لكبرهما لا لمقرها ولهذا قال (أبشركموني على أن منسى الكبر فم تبشرون) مع أنه كان قد ولد له قبله إسمايل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته (يا ويلتى ألدوانا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

﴿ قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحا شديدا وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقرا لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا أي عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا يعتو عتيا وعتوا وعسا يعسو عسوا وعسيا ، وقال مجاهد: عتيا يعني فحول العظم ، وقال ابن عباس وغيره عتيا يعني الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن ابن عباس قال لقد علت السنة كلها غير أنى لا أدرى أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف (وقد بلغت من الكبر عتيا) أو عسيا ، ورواه الإمام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به (قال أي الملك مجيبا لزكريا عما استعجب منه (كذلك قال ربك هو على هين) أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها (هين) أي يسير سهل على الله ، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) كما قال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْلًا سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام أنه (قال رب اجعل لي آية) أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال إبراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (قال آيتك) أي علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوييا) أي أن تجلس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة . قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ، وقال العوفي عن ابن عباس (ثلاث ليال سوييا أي متتابعات والقول الأول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى في آل عمران (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار) وقال مالك عن زيد بن أسلم (ثلاث ليال سوييا) من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم

الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها (إلا رمزاً) أى إشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أى الذى بشر فيه بالولد (فأوحى إليهم) أى أشار بإشارة خفية سريعة (أن سبحوا بكرة وعشيا) أى موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكرآ لله على ما أولاه . قال مجاهد (فأوحى إليهم) أى أشار وبه قال وهب و قتادة ، وقال مجاهد في رواية عنه (فأوحى إليهم) أى كتب لهم في الأرض وكذا قال السدى :

﴿ يَبْحِي خَذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وهذا أيضاً تضمن محدثاً تقديره أنه وجد هذا الغلام للبشر به وهو يحيى عليه السلام وأن الله علمه الكتاب وهو التوراة التى كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً فلهدنا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أى تعلم الكتاب بقوة أى بجد وحرص واجتهاد (وآتيناه الحكم صبياً) أى الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال مالكب خلقنا قال فلهذا أنزل الله (وآتيناه الحكم صبياً) وقوله (وحناناً من لدنا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحناناً من لدنا) يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة و قتادة والضحاك وزاد لا يقدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحناناً من لدنا) وتعطفاً من ربه عليه وقال عكرمة (وحناناً من لدنا) قال محبة عليه وقال ابن زيد أما الحنان فالحبة ، وقال عطاء بن أبى رباح (وحناناً من لدنا) قال تعظيماً من لدنا وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدرى ما حناننا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبير عن قوله (وحناناً من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئاً والظاهر من السياق أن قوله وحناناً معطوف على قوله (وآتيناه الحكم صبياً) أى وآتيناه الحكم وحناناً وزكاة أى وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة فى شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر :

تعطف على هداك المليك * فان لكل مقام مقالاً

وفى المسند للإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل فى النار ينادى ألف سنة يا حنان يا منان » وقد يثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لفة بذاتها كما قال طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله وزكاة معطوف على وحناناً فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ، وقال قتادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح الزكى ، وقال العوفي عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقياً) طهر فلم يعمل بذنوب ، وقوله (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلاً أمراً ونهياً ولهذا قال (ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أى له الأمان فى هذه الثلاثة الأحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوخشى ما يكون المرء فى ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلم عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور الروزى عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله (جباراً عصياً) قال كان

ابن السيب يذكر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا » قال قتادة ما أذنب ولا هم بامرأة ، مرسل وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن السيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا » ابن إسحق مدلس وقد عنعن هذا الحديث فإله أعلم ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضاً ضعيف لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفري أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلها .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ تَابِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةَ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيًا طاهرًا مباركًا عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وههنا وفي سورة الأنبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وأنه على ما يشاء قادر فقال (وأذكر في الكتاب مريم) وهى مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها نذرتها محررة أى تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربهما بقبول حسن وأنتها نباتا حسنا) ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابديات الناصيات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدعوى وكانت في كفالة زوج أختها زكريا بنى بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذى يرجعون إليه في دينهم ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولى العزم الخمسة العظام (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أى اعتزلتهم وتحت عنهم وذهبت إلى شرقى المسجد المقدس . قال السدى لحيض أصابها ، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قيل ربك (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصولا قبل مطلع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال : إني لأعلم خلق الله لأى شىء اتخذ النصرى المشرق قبلة لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة ، وقال قتادة (مكانا شرقيا) شاسعاً متنجساً ، وقال محمد بن إسحق ذهبت بقلتها لتستقي الماء ، وقال نوف البكالى اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه فإله أعلم وقوله (فاتخذت من دونهم حجاباً) أى استترت منهم وتوارت فأرسل

الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) أى طى صورة إسان تام كامل ، قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدى في قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعنى جبرائيل عليه السلام وهذا الذى قالوه هو ظاهر القرآن فانه تعالى قد قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالصة عن أبي بن كعب قال إن روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التى أخذ عليها العهد فى زمان آدم عليه السلام وهو الذى تمثل لها بشراً سوياً أى روح عيسى فحملت الذى خاطبها وحل فى فيها وهذا فى غاية الغرابة والنكارة وكأنه إسرائيلى (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أى لما تبدى لها الملك فى صورة بشر وهى فى مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت أنه يريد لها على نفسها فقالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أى إن كنت تخاف الله تذكيراً له بالله وهذا هو المشروع فى الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل فخوفته أولاً بالله عز وجل . قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال : قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت أن التقي ذنوبية حين قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك) أى فقال لها الملك مجيباً لها ومزيلاً لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست بما تظنين ولكنى رسول ربك أى بعثنى الله إليك ، ويقال إنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد إلى هيئته وقال (إنما أنا رسول ربك لهيب لك غلاماً زكياً) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهورى القراء ، وقرأ الآخرون (لأهب لك غلاماً زكياً) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أى يكون لى غلام) أى فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لى غلام أى طى أى صفة يوجد هذا الغلام منى ولست بذات زوج ولا يتصور منى الفجور ولهذا قالت (ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً) والبغى هى الزانية ولهذا جاء فى الحديث النهى عن مهر البغى (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى فقال لها الملك مجيباً لها عما سألت إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلاماً وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر ولهذا قال (ولنجعله آية للناس) أى دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذى نوع فى خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية البشرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أى ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجبها فى الدنيا والآخرة ومن القربين ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين) أى يدعو إلى عبادة ربه فى مهده وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا عبد الرحيم بن إبراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث السكونى عن مجاهد قال : قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت حدثنى عيسى وكفى وهو فى بطنى وإذا كنت مع الناس سبح فى بطنى وكبر ، وقوله (وكان أمراً مقضياً) يحتتمل أن هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر فى علم الله تعالى وقدره ومشيتته ، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النسخ فى فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (التى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحق (وكان أمراً مقضياً) أى إن الله قد عزم على هذا فليس منه بد ، واختار هذا أيضاً ابن جرير فى تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال إنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير

واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى ، فلما حملت به ضاقت ذرعا ولم تدر ماذا تقول للناس فانها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا . وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك . فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يامرئى حبلى ؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أنى حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذى فى بطنها يسجد للذى فى بطن مريم أى يعظمه ويخضع له فان السجود كان فى ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف أبواه وإخوته وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم فى ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الرب تعالى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين قال قرئ على الحارث ابن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك رحمه الله بلغنى أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم إني أرى أن ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله جعله يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ثم اختلف المفسرون فى مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد ثمانية أشهر وقال ابن جريج أخبرنى المعيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفى سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شئ بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما) فهذه الفاء للتعقيب بحسبها . وقد ثبت فى الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبغ الأرض مخضرة) فالمشهور الظاهر والله على كل شئ قدير أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها فى المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه ما يعلم من براءتها وزاهاتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ماهى فيه فجعل أمرها يموس فى فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فحمل نفسه على أن عرض لها فى القول فقال يامرئى إني سائلك عن أمر فلا تعجلى على . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه . أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصدقها وسلم لها حالها ، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالرية انتبذت منهم مكانا قصيا أى فاصيا منهم بعيدا عنهم لثلاثراهم ولا يروها ، قال محمد بن إسحق : فلما حملت به وملأت قلبها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث فى بنى إسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف ولم يكن معها فى الكنيسة غيره وتوارت من الناس وانخذت من دونهم حجبا فلا يراها أحد ولاتراه ، وقوله (فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة) أى فاضطرها وأجأها الطلق إلى جذع النخلة فى المكان الذى تحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدى كان شرقى محرابها الذى تصلى فيه من بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق ، وفى رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس فى قرية هناك يقال لها بيت لحم ، قلت وقد تقدم فى أحاديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضى الله عنه والبيهقى عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن ذلك بيت لحم فأنه أعلم وهذا هو المشهور الذى تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه بيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح ، وقوله تعالى إخبارا عنها (قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) فيه دليل على جواز تمنى الموت عند

الفتنة فانها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه طي السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت (يا ليتني مت قبل هذا) أي قبل هذا الحال (وكنت نسيامنسيا) أي لم أخلق ولم أك شيئا قاله ابن عباس ، وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بل (وكنت نسيامنسيا) نسي فترك طلبه كخرق الحياء إذا أقيمت وطرحتم لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي ، وقال قتادة (وكنت نسيامنسيا) أي شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا ، وقال الربيع بن أنس (وكنت نسيامنسيا) هو السقط ، وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط ، وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهي عن تمنى الموت إلا عند الفتنة عند قوله (توفني مسلما وألحقني بالصالحين)

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خفيفًا * فَكَلِمَةَ أَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها ، وقرأ الآخرون من تحتها على أنه حرف جر ، واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وعمرو بن ميمون والسدي وقاتدة: إنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي ، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه ابنها قال أو لم تسمع الله يقول (فأشارت إليه) واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره ، وقوله (أن لا تحزني) أي ناداها قائلا لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سرية) قال سفیان الثوري وشعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب (قد جعل ربك تحتك سرية) قال الجدول وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السرى النهر، وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه ، وقال مجاهد هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير السرى النهر الصغير بالنبطية ، وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية ، وقال إبراهيم النخعي هو النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز ، وقال وهب بن منبه . السرى هو ربيع الماء ، وقال السدي هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله الباقلي حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن السرى الذي قال الله لمريم (قد جعل ربك تحتك سرية) نهر أخرجه الله لتشرب منه » وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه . وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبى قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف . وقال أبو زرعة : منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدى : متروك الحديث ، وقال آخرون المراد بالسرى عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الأول أظهر ولهذا قال بعده (وهزى إليك بجزع النخلة) أي وخذى إليك بجزع النخلة ، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مشمة قال مجاهد كانت عجوة ، وقال الثوري عن أبي داود نفع الأعمى كانت صرفانة والظاهر أنها كانت شجرة ولكن لم تكن في إبان ثمرها قاله وهب بن منبه ولهذا امتن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشرابا فقال (تساقط عليك رطبا جنيا) فكلني واشربني وقرى عينا) أي طيبي نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون : ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكريمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا مسرور بن سعيد التيمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عروة بن رويم عن طي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا

عمتك النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها وقال رسول الله ﷺ « أطمعوا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران » هذا حديث منكر جدا ورواه أبو يعلى عن شيان به ، وقرأ بعضهم (تساقط) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها ، وقرأ أبو نهيك (تسقط عليك رطبا جنيا) وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها (يساقط) أى الجذع والكل متقارب

وقوله (فأما ترين من البشر أحدا) أى مهما رأيت من أحد (فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكل اليوم إنسيا) المراد بهذا القول الاشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لثلاثين فى (فلن أكل اليوم إنسيا) قال أنس بن مالك فى قوله (إني نذرت للرحمن صوما) قال: صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفى رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا فى شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد . قال ابن إسحق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ماشأ نك؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج ، يعنى بذلك مريم عليها السلام ليكون عذرا لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم (لا تحزنى) قالت وكيف لأحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شيء عذرى عند الناس؟ يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى أنا كفيك الكلام (فأما ترين من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكل اليوم إنسيا) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب

﴿ فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْعِدِيَّةِ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن مريم حين أمرت أن تصوم يوما ذلك وأن لا تكلم أحدا من البشر فانها ستكنى أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأنت به قوما تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أى أمرا عظيما قاله مجاهد وقتادة والسدى وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالى قال وخرج قوما فى طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعى بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكنى رأيت اللبلة من بقرى ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها اللبلة تسجد نحو هذا الوادى . قال عبد الله بن أبي زياد وأحفظ عن شيان أنه قال رأيت نورا ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها فى حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أمرا عظيما (يا أخت هرون) أى يا شبيهة هرون فى العبادة (ما كان أبوك امرا سوء وما كانت أمك بغيا) أى أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال على ابن أبي طلحة والسدى قيل لها (يا أخت هرون) أى أختى موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمى يا أختى تميم وللضمرى يا أختى مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيه اسم هارون فكانت تقاس به فى الزهادة والعبادة وحكى ابن جرير

عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هرون . ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله مارواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين المهجستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل (يا أخت هرون) قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هرون التي قصت أثر موسى (فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون) وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثا وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد وكان قبل سليمان وداود فان الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليهما السلام في قوله تعالى (أم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا فقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وإغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحهم كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن الغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرأون (يا أخت هرون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال فرجعت فذكرت ذلك رسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث ابن إدريس ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن كعبا قال إن قوله (يا أخت هرون) ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر وإلا فاني أجد بينهما ستائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هرون) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل ، وقوله (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامته فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متهمكين بها ظانين أنها تزدرى بهم وتاعب بهم (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) قال ميمون بن مهران (فأشارت إليه) قالت كلوه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا : وقال السدي لما (أشارت إليه) غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم ؟ قال إني عبد الله ، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) ثبوت لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتسكا على جنبه الأيسر وقال (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا - إلى قوله - مادمت حيا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الآية ، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصفي حدثنا يحيى بن سعيد

هو العطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) يحيى بن سعيد العطار الحمصي متروك وقوله (وجعلني مباركا أينما كنت) قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري وجعلني معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن زيد بن خنيس الخزومي سمعت وهيب بن الورد مولى بنى مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذى أعلن من عملى ؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وجعلني مباركا أينما كنت) وقيل ما بركته ؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت . ما أثبتنا لأهل القدر . وقوله (وبرا بولدي) أى وأمري ير والدنى ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيرا ما يقرب بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقال (أن اشكرلى ولوالديك إلى المصير) وقوله (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى ولم يجعلنى جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدنى فأشقى بذلك : قال سفيان الثوري الجبار الشقى الذى يقتل على الغضب ، وقال بعض السلف لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ (وبرا بوالدي ولم يجعلنى جبارا شقيا) قال ولا تجد سبيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورائهم قرأ (وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ، وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص فى آيات سلطه الله عليهم وأذن له فهن فقالت طوبى للبطن الذى حملك وطوبى للثدى الذى أرضعت به فقال نبى الله عيسى عليه السلام يحيىها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا وقوله (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويميت ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة فى هذه الأحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذى قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قول الحق الذى فيه يمترون) أى يختلف البطلون والمحقون ممن آمن به وكفرو به ولهذا قرأ الأكترون قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق ، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر إعرابا ويشهد له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبدا نبيا نزه نفسه للقدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أى عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا (إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) أى إذا أراد شيئا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء كما قال (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقوله (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى وبما أمر به عيسى قومه وهو فى مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جشتم به عن الله صراط مستقيم أى قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى . وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف قول أهل الكتاب فى عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكتبه ألقاها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على

أنه ولد زينة ، وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله اليه المؤمنين ، وقد روى نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبدالرزاق أخبرنا عمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم يعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنتين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته وهم المسلمون . فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين ، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً ، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الأساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفاً فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جداً فقالت كل شذمة فيه قولاً فثلاثة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فقال إليهم الملك وكان فيلسوفاً فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الأمانة الكبيرة بل هي الحيانة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وجرفوا دين المسيح وغيره فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنيت أمه هيلانة قامة على المكان الذي صلب فيه الصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله إلى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله واقتري وزعم أن له ولداً ولكن أنظرهم تعالى إلى يوم القيامة وأجلهم حلاً وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين « إن الله لم يلبس للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجامون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم » وقد قال الله تعالى (وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى الصير) وقال تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) ولهذا قال ههنا (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أي يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث الصحيح التفرق على صحته عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده له شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَّا لَكِ الْظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى محسباً عن الكفار يوم القيامة إنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى (ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ومعنا) الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدى عنهم شيئاً ولو كان

هذا قبل معاناة العذاب لكان نافعاً لهم ومنقذاً من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أى ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعنى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال مبين) أى لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعمهم ذلك ثم قال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) أى أنذر الخلائق يوم الحسرة (إذ قضى الأمر) أى فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه (وهم) أى اليوم (فى غفلة) عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة (وهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون به . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت - قال - فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده ثم قال « أهل الدنيا فى غفلة الدنيا » هكذا رواه الإمام أحمد وقد خرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما من حديث الأعمش به ولفظهما قريب من ذلك ، وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثنى أسباط ابن محمد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً مثله ، وفى سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة نحوه وهو فى الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال : قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه ، ورواه أيضاً عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول فى قصصه يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون ، وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبد الله هو ابن مسعود فى قصة ذكرها قال فليس نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة وبيت فى النار وهو يوم الحسرة فىرى أهل النار البيت الذى فى الجنة ويقال لهم لوعلمتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم ، وقال السدى عن زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت فى صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى أهل عليين ولا فى أسفل درجة فى الجنة إلا نظر إليه ثم ينادى مناد يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا فلا يبقى أحد فى ضحاح من نار ولا فى أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبداً والبدن ويا أهل النار هو الخلود أبداً البدن فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرح ماتوا ويشفق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا فذلك قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر) يقول إذا ذبح الموت ، ورواه ابن أبي حاتم فى تفسيره وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة) من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وأنذرهم يوم الحسرة) قال يوم القيامة وقرأ (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) وقوله (إننا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكاً ولا تصرفاً بل هو الوارث لجميع خلقه الباقى بعدهم الحاكم فيهم فلا تنظلم نفس شيئاً ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة قال ابن أبي حاتم ذكره هبة بن خالد القيسى حدثنا حزم بن أبي حزم القطعى قال كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة : أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه وقال فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه انه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا بَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُ مَنْ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر في الكتاب إبراهيم وائل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذرية ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال (يا بَتِ لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا ينفك عنك شيئا) أى لا ينفك ولا يدفع عنك ضررا (يا بَتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) يقول وإن كنت من صلبك وترانى أصغر منك لأنى ولدك فاعلم أنى قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك (فاتبعنى أهدك صراطا سويا) أى طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المهوب (يا بَتِ لا تعبد الشيطان) أى لا تطعه فى عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعى إلى ذلك والراضى به كما قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال (إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا) وقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أى مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله (يا بَتِ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أى على شركك وعصيانك لما أمرك به (فتكون للشيطان وليا) يعنى فلا يكون لك مولى ولا ناصرا ولا مغنياً إلا إبليس وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم)

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا بَرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿

يقول تعالى محبرا عن جواب أبى إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه انه قال (أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ؟) يعنى إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فاتته عن سبها وشتمها وعيها فانك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسبيتك وهو قوله (لأرجمك) قاله ابن عباس والسدى وابن جريج والضحاك وغيرهم ، وقوله (واهجرنى مليا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق يعنى دهرا وقال الحسن البصرى زمانا طويلا وقال السدى (واهجرنى مليا) قال أبدأ . وقال على بن أبى طلحة والوعوفى عن عباس (واهجرنى مليا) قال سويا سالما قبل أن تصيبك منى عقوبة وكذا قال الضحاك وقاتدة وعطية الجدلى وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندها قال إبراهيم لأبيه (سلام عليك) كما قال تعالى فى صفة المؤمنين (وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلما) وقال تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلون) ومعنى قول إبراهيم لأبيه (سلام عليك) يعنى أما أنا فلا ينالك منى مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة (سأستغفر لك ربى) ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك (إنه كان بى حفيا) قال ابن عباس وغيره لطيفا أى فى أن هدى لى لعبادته والاخلاص له . وقال قاتدة ومجاهد وغيرهما إنه كان بى حفيا قال عوده الإجابة وقال السدى الحفى الذى يهتم بأمره ، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام وبني المسجد الحرام وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام فى قوله (ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقد استغفر السامون لقرباتهم وأهلهم من الشركين فى ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل فى ذلك حتى أنزل الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ

قالوا لقوامهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله - إلى قوله - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء (الآية ، يعنى إلا فى هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالى أن إبراهيم أطلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى (ما كان للنبي والدين آمنوا أن يستغفروا للمشركين - إلى قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم) وقوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى) أى أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التى تعبدونها من دون الله (وأدعو ربى) أى وأعبد ربى وحده لا شريك له (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً) وعسى هذه موجبة لامحالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ

﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

يقول تعالى فلما اعتزل الخليل أباه وقومه فى الله أبدله الله من هو خير منهم ووهب له إسحاق ويعقوب يعنى ابنه وابن إسحاق كما قال فى الآية الأخرى (ويعقوب نافلة) وقال (ومن وراء إسحاق يعقوب) ولا خلاف أن إسحاق والدي يعقوب وهو نص القرآن فى سورة البقرة (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) ولهذا إنما ذكر ههنا إسحاق ويعقوب أى جعلنا له نسلا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه فى حياته ولهذا قال (وكلا جعلنا نبياً) فلم يكن يعقوب عليه السلام قد نبىء فى حياة إبراهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فإنه نبى أيضاً كما قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف نبى الله ابن يعقوب نبى الله ابن إسحاق نبى الله ابن إبراهيم خليل الله » وفى اللفظ الآخر « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » وقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) قال طى بن أنى طلحة عن ابن عباس يعنى الثناء الحسن وكذا قال السدى ومالك بن أنس ، وقال ابن جرير إنما قال علياً لأن جميع الملل والأديان يتنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِّن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾

لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال (واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً) قرأ بعضهم بكسر اللام من الإخلاص فى العبادة ، قال الثورى عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى لبابة قال : قال الحواريون ياروح الله أخبرنا عن المخلص لله قال: الذى يعمل لله لا يجب أن يحمده الناس ، وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى أنه كان مصطفى كما قال تعالى (إني اصطفتك على الناس) (وكان رسول نبياً) جمع الله له بين الوصفين فإنه كان من المرسلين الكبار أولى العزم الخمسة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وقوله (وناديناه من جانب الطور) أى الجانب (الأيمن) من موسى حين ذهب يبتغى من تلك النارجذوة فرآها تلوح فقصدتها فوجدتها فى جانب الطور الأيمن منه غربيه عند شاطئ الوادى فكلمه الله تعالى وناداه وقربه فناداه ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وقربناه نجياً) قال أدنى حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدى (وقربناه نجياً) قال أدخل فى السماء فكلم وعن مجاهد نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقربناه نجياً) قال نجياً بصدقه ، وروى ابن أنى حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن أبى واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجياً بطور سيناء قال: يا موسى إذا خلقت لك قلباً شاكرًا

ولساناً ذا كراً وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً. وقوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) أى وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً كما قال في الآية الأخرى (وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) وقال (قد أوتيت سؤلوك يا موسى) وقال (فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون) ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد في أحد شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هارون أن يكون نبياً قال الله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس قوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقاً عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي به .

﴿ وَأَذْكُرُ فِي السُّعْيِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾

هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد . قال ابن جرير لم يعد ربه عدة إلا أنجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفأها حقها . وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه فجاء ونسى الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا ؟ قال لا قال إني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتيني فذلك (كان صادق الوعد) وقال سفيان الثوري بلغني أنه أقام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه . وقال ابن شوذب بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكناً ، وقد روى أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الأخلاق من طريق إبراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحساء قال بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فبقيت له على بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك قال فنسيت يومى والغد فأتيت في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي « يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك » لفظ الخرائطي وساق آثاراً حسنة في ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به وقال بعضهم إنما قيل له (صادق الوعد) لأنه قال لأبيه (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فصدق في ذلك ، فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقال رسول الله ﷺ « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضعها من صفات المؤمنين، ولهذا أنبى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أنبى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال « حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي » ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتني أنجز له فجاء جابر بن عبد الله فقال إن رسول الله ﷺ قال « لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » يعنى ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيديه من المال ثم أمره بعده فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثلها معها، وقوله (وكان رسولاً نبياً) في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله (وكان يأمُرُ أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) هذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة والحلة السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه

عز وجل أمرأ بها لأهله كما قال تعالى لرسوله (وأمر أهلك الصلاة واصطبر عليها) الآية وقال (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أى مروم بالمعروف وانهموم عن المنكر ولا تدعوم هملا فتأ كلهم النار يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح في وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبت نضحت في وجهه الماء » أخرجه أبو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الله كثرين الله كثيرا والذاكرات » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له

﴿ وَأَذْكُرُ فِي السِّتْرِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقاً نبياً وأن الله رفعه مكاناً علياً ، وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً فقال حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن ثمر بن عطاء عن هلال ابن يساف قال سألت ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لإدريس (ورفعناه مكاناً علياً) فقال كعب أما إدريس فان الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحب أن يزداد عملاً فاتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً فحملة بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت في الذى كلفه فيه إدريس فقال وأين إدريس ؟ فقال هو ذا على ظهرى قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لي اقبط روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبط روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكاناً علياً) هذا من أخبار كعب الأخبار الاسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأله كعباً فذكر نحوه ما تقدم غير أنه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يعنى ملك الموت كم بقى من أجلى لسكى أزداد من العمل وذكر باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقى من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال إنك تسألني عن رجل ما بقى من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن إدريس كان خياطاً فكان لا يفرر إبرة إلا قال سبحان الله فكان يسمى حين يسمى وليس في الأرض أحد أفضل عملاً منه وذكر بقيقته كالدب قبله أو نحوه وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله (ورفعناه مكاناً علياً) قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى . وقال سفيان عن منصور عن مجاهد (ورفعناه مكاناً علياً) قال السماء الرابعة وقال العوفي عن ابن عباس (ورفعناه مكاناً علياً) قال رفع إلى السماء السادسة فات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله (ورفعناه مكاناً علياً) قال : الجنة .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطراد من ذكر الأشخاص إلى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس والذي عنى به من ذرية إبراهيم والنبي عنى به من ذرية إبراهيم

إسحق ويعقوب وإسماعيل والذي عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح (قلت) هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل أخذنا من حديث الإسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام . وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن لطيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن إدريس أقدم من نوح فبعثه الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ماشاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ، وما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء أنها كقوله تعالى في سورة الأنعام (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم *) وهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجرى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتنبناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * - إلى قوله - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقال سبجانه وتعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وفي صحيح البخارى عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أفي ص سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فبيك ممن أمر أن يقتدى بهم قال وهو منهم يعنى داود . وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) أى إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة ، والبكى جمع بك فلهدا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم . قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكى يريد البكاء . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيما رأيت فالله أعلم

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا ﴾

لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحمدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزوجره ، ذكر أنه (خلف من بعدهم خلف) أى قرون آخر (أضاعوا الصلاة) وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فهؤلاء سيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بإضاعتها تركها بالكلىة قاله محمد بن كعب القرظى وابن زيد بن أسلم والسدى واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الإمام أحمد ، وقول عن الشافعى إلى تكفير تارك الصلاة للحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسألة . وقال الأوزاعى عن موسى بن سليمان عن القاسم بن خميرة في قوله (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) قال إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا . وقال وكيع عن السعوى عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الذين هم عن صلاتهم ساهون) و (على صلاتهم دائمون) و (على صلاتهم يحافظون) فقال ابن مسعود على موقيتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قال ذلك الكفر ، قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفي

إفراطهن الملكة وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن ، وقال الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد ان عمر بن العزيز قرأ
(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال لم تكن إضاعتهم تركها ولكن
أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال عند قيام
الساعة وذهب صالحى أمة محمد ﷺ ينزو بعضهم على بعض فى الأزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله ،
وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح أنهم من هذه الأمة يعنون فى آخر الزمان ، وقال ابن جرير
حدثني الحارث حدثنا الحسن الأشيب حدثنا شريك عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات) قال هم فى هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر فى الطرق لا يخافون الله فى السماء ولا
يستحيون من الناس فى الأرض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا
حيوة حدثنا بشير بن أبي عمرو الحولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله
ﷺ يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف
يقراءون القرآن لا يعدون تراقيمهم ويقراء القرآن ثلاثة : مؤمن ومناقق وفاجر » وقال بشير قلت للوليد ماهؤلاء الثلاثة ؟
قال المؤمن مؤمن به والمناقق كافر به والفاجر يأكل به ، وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، وقال ابن أبي حاتم
أيضاً حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك
عن أبي الرجال أن عائشة كانت ترسل بالشئ صدقة لأهل الصفة تقول لا تعطوا منه بربريا ولا بربرية فاني سمعت
رسول الله ﷺ يقول « هم الخلف الذين قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » هذا حديث
غريب وقال أيضاً حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شيخ من أهل المدينة أنه
سمع محمد بن كعب القرظي يقول فى قول الله (فخلف من بعدهم خلف) الآية قال هم أهل القرب يملكون وهم
شر من ملك ، وقال كعب الأحمار والله إنى لأجد صفة المناققين فى كتاب الله عز وجل سرايين للقهوات تراكين
للصلوات لعابيين بالكعبات رقادين عن العتات مفرطين فى الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية (فخلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقال الحسن البصرى : عطلوا المساجد ولزموا
الضيقات ، وقال أبو الأشهب الطاردي أوحى الله إلى داود عليه السلام يداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات
فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وإن أهون ما أضنع بالعبد من عيبى إذا آثر شهوة من شهواته
أن أحرمه طاعتي ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو يزيد التيمي عن أبي قبيل أنه سمع عقبه بن عامر
قال : قال رسول الله ﷺ « إني أخاف على أمتي اثنتين : القرآن واللبن (١) » أما اللبن فيتبعون الزيف ويتبعون
الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المناققون فيجادلون به المؤمنين ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة
حدثنا أبو قبيل عن عقبه بن مرفوعا بنحوه تفرد به ، وقوله (فسوف يلقون غيا) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس
(فسوف يلقون غيا) أى خسرا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن إسحق عن أبي إسحق
السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود (فسوف يلقون غيا) قال واد فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم وقال
الأعمش عن زياد عن أبي عياض فى قوله (فسوف يلقون غيا) قال واد فى جهنم من قيح ودم وقال الإمام أبو جعفر
ابن جرير حدثني عباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريك بن قنينة عن قنينة بن عامر الخزازى قال جئت
أبا أمامة صدى بن عجلان الباهلى فقلت حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بطعام ثم قال : قال
رسول الله ﷺ « لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفاً ثم تنتهى
إلى غي وآثام » قال قلت ماغى وآثام قال : قال « بران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » وهما
اللذان ذكرهما الله فى كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله فى الفرقان (ولا يزنون
ومن يفعل ذلك يلق آثاماً) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) أى إلا

(١) كذا فى النسخة المكية وفى النسخة الأميرية : الكنى ، بدل اللبن .

من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها ، وفي الحديث الآخر « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا قبولوا بما عملوه قبلها فينقص لهم مما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرا وترك نسيا وذهب مجانا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء ههنا كقوله في سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - إلى قوله - وكان الله عفورا رحيا)

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لُقَوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ هِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾

يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة التي وعده الرحمن عباده بظهور الغيب أي هي من الغيب الذي يؤمنون به ومارأوه وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم وقوله (إنه كان وعده مأتيا) تأكيد لحصول ذلك وثبوت واستقراره فإن الله لا يخلف العباد ولا يبده كقوله (كان وعده مفعولا) أي كأننا لا محالة ، وقوله ههنا (مأتيا) أي العباد صائرون إليه وسيأتونه ومنهم من قال (مأتيا) بمعنى آتيا لأن كل ما أتاك فقد أتيت كما تقول العرب أتت على خمسون سنة وأتيت على خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد ، وقوله (لا يسمعون فيها لقوا) أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا ، وقوله (إلا سلاما) استثناء منقطع كقوله (لا يسمعون فيها لقوا ولا تأثبا إلا قولا سلاما) وقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا أن هناك ليلا ونهارا ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيا بأضواء وأنوار كما قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطن آتيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوثة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » أخرجاه في الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال الضحاك عن ابن عباس (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال : ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب وبهذا الإسناد عن الوليد ابن مسلم عن خلود عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتنتهم انفتحت انفتحت فتفعل ، وقال قتادة في قوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فيها ساعتان بكرة وعشى ليس ثم ليل ولانهار وإنما هو ضوء ونور ، وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا وقال الحسن وقتادة وغيرها كانت العرب الأنعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم فقال تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال البكور يرد على العشى والعشى يرد على البكور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن زياد قاضي أهل شهاط عن عبد الله بن حدير

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مامن غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا أنه يزف إلى ولي الله فيها زوجة من الحور العين أدناهن التي خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر ، وقوله (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عزوجل في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين (قد أفلق المؤمنون الدين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قالوا: حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ » قال فنزلت (وما تنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . انفرد بإخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل وقال يا محمد (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية . وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل فلما جاءه قال « يا جبرائيل لقد رثت على حتى ظن المشركون كل ظن » فنزلت (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية . قال وهذه الآية كالتي في الضحى قال وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدي وغير واحد : إنها نزلت في احتباس جبرائيل ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما نزلت حتى اشتقت إليك » فقال له جبريل بل أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له (وما تنزل إلا بأمر ربك) الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت المرسل على النبي ﷺ ثم أتاه جبريل فقال له « ما حبسك يا جبريل . » فقال له جبريل وكيف نأتىكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستنون ولا تقلمون أظفاركم إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . وقد قال الطبراني حدثنا أبو عامر النهوي حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم ؟ وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي اليمان عن إسماعيل بن عياش عن ابن عباس بنحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصلح لي لنا المجلس فانه ينزل ملك إلى الأرض لينزل إليها قط » وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) قيل المراد ما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة (وما بين ذلك) ما بين النفتين هذا قول أبي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة في رواية عنهما والسدي والريعي بن أنس وقيل (ما بين أيدينا) ما يستقبل من أمر الآخرة (وما خلفنا) أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي ما بين الدنيا والآخرة ، وروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم . وقوله (وما كان ربك نسيا) قال مجاهد والسدي : معناه ما نسيتك ربك وقد تقدم

صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن النار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا وينذر الظالمين فيها جثيا» غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكر بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال قد مررتم عليها وهي خامدة، وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبدا لله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكت قال إني ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أتجو منها أم لا - وفي رواية وكان مريضاً وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي إسحق كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال يا ليت أُمِّي لم تلدني ثم يبكي قفيل له ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ فقال أخبرنا أنا واردها ولم نخبر أنا صادرون عنها ، وقال عبدة بن المبارك عن الحسن البصري قال : قال رجل لأخيه هل أتاك النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها ، قال لا ، قال ففيم الضحك قال لما رأيته ضاحكا حتى لحق بالله وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) وردوا أم لا وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار) أوردتها أم لا ، أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع . وروى ابن جرير عن عطاء قال : قال أبو راشد الحروري وهو نافع بن الأزرق (لا يسمعون حسيها) فقال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار) (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) (وإن منكم إلا واردها) والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غانما ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الحاربي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أ رأيت قول الله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسزدها فانظر هل تصدر عنها أم لا . وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عن سمع ابن عباس يقرؤها (وإن منهم إلا واردها) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (وإن منهم إلا واردها) قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وإن منكم إلا واردها) يعني البر والفاجر ، ألا تسمع إلى قول الله لفرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار) الآية (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن إسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال رسول الله ﷺ « يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم » ورواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن عبيد الله عن إسرائيل عن السدي به ، ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا ، وقد رواه أسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : يرد الناس جميعاً الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كأجود الحيل ومنهم من يمر كأجود الإبل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهاميه يمر فيتكأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافته ملائكة معهم كلاب من نار يختطفون بها الناس . وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا إسرائيل أخبرنا أبو إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله (وإن منكم إلا واردها) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الحيل والرابعة كأجود البهايم ثم يمررون والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرها من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . وقال ابن جرير حدثني

يعقوب حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذوشعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ « إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرآ والحديبية » قالت فقلت أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) قالت : فسمعتة يقول (ثم ننجي الذين اتقوا وننذر الظالمين فيها جثياً) . وقال أحمد أيضاً حدثنا ابن إدريس حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة فقال « لا يدخل النار أحد شهد بدرآ والحديبية » قالت حفصة أليس الله يقول (وإن منكم إلا واردها) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم ننجي الذين اتقوا) الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم »

وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم » يعنى الورد ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهري كأنه يريد هذه الآية (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً) . وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم حدثنا إسمايل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « إن الله تعالى يقول هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتسكون حظه من النار فى الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو اليمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ (وإن منكم إلا واردها) . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبانه بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً فى الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكثر وأطيب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ألف آية فى سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعاً لا بأجر سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم » قال الله تعالى (وإن منكم إلا واردها) وإن الله ذكر فى سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف ، وفى رواية بسبعمائة ألف ضعف ، وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبانه عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ « إن الصلاة على والصيام والله كرىضاعف على النفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف » . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله (وإن منكم إلا واردها) قال هو المر عليها : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وإن منكم إلا واردها) قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيتها وورود المشركين أن يدخلوها ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ ساطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم سلم » وقال السدى عن مرة عن ابن مسعود فى قوله (كان على ربك حتماً مقضياً) قال قسماً واجباً : وقال مجاهد : حتماً ، قال قضاء وكذا قال ابن جرير وقوله (ثم ننجي الذين اتقوا) أى إذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والمعاصى ذوى المعاصى بحسبهم ننجي الله تعالى المؤمنين

المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنيون والمؤمنون فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِثِيًّا ﴾

يخبر تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم (خير مقاماً وأحسن ندياً) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن ندياً وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديتهم بأمر وأكثر وارداً وطارقاً يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مخفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) وقال قوم نوح (أنؤمن لك واتبعك الأزدلون) وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم (وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي وكَمْ مِنْ أُمَّةٍ وَقَرْنٍ مِنَ الْمَكْذِبِينَ قَدْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ (هم أحسن أثناً وريثياً) أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتعة ومناظر وأشكلاً قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (خير مقاماً وأحسن ندياً) قال القام المزل والندی المجلس والأثاث المتاع والرثي النظر ، وقال العوفي عن ابن عباس القام المسكن والندی المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكتهم وقص شأنهم في القرآن (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) فالقام المسكن والنعيم . والندی المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه ، وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط (وتأتون في ناديتكم المنكر) والعرب تسمى المجلس النادی ، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة وفيهم قسافة فعرض أهل الشرك ما تسمعون (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الأثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرثي المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، وقال الحسن البصري يعني الصور وكذا قال مالك (أثناً وريثياً) أكثر أموالاً وأحسن صوراً والكل متقارب صحيح .

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جَنَدًا ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بربههم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل (من كان في الضلالة) أي منا ومنكم (فليمدد له الرحمن مداً) أي فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينقض أجله (إما العذاب) يصيبه (وإما الساعة) بفتة تأتية (فسيعلمون) حينئذ (من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي . قال مجاهد في قوله (فليمدد له الرحمن مداً) فليدعه الله في طغيانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير

رحمه الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أى ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم إن كنتم تدعون أنكم على الحق فإنه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد تقدم تقدير ذلك في سورة البقرة مبسوط والله الحمد ، وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والعلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل الله لعنة على الكاذبين) فنكلوا أيضا عن ذلك

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَغِيضَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) الآيتين. وقوله (والباقيات الصالحات) قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف (خير عند ربك ثوابا) أى جزاء (وخير مردا) أى عاقبة ومردا على صاحبها ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فأخذ عودا يابساً فحط ورقه ثم قال « إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لأهلن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رأى الجاهل حسب أنى مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أُتِخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال فأنى إذا مت ثم بعثت جثتي ولى ثم مال وولد فأعطيتك فأنزل الله (أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا - إلى قوله - ويأتينا فردا) أخرجه صاحبنا الصحيح وغيرها من غير وجه عن الأعمش به وفي لفظ البخارى كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفاً فحسب أتقاضاه فذكر الحديث وقال (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال موثقاً

وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لى عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لى لا أفضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإذا بعثت كان لى مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (أفرايت الذى كفر بآياتنا) الآيات وقال. العوفى عن ابن عباس إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمى بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات ؟ قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذى

جتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال (أفرايت الذي كفر بآياتنا - إلى قوله - ويأتينا فردا) وهكذا قال مجاهد وقادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل ، وقوله (لأوتين مالا وولدا) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولدا وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيء ولدا
وقال الحارث بن حلوة: ولقد رأيت معاشرنا * قد نمرؤا مالا وولدا
وقال الشاعر: فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم ، وقوله (أطلع الغيب) إنكار على هذا القائل (لأوتين مالا وولدا) يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك ؟ وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا) قال لا إله إلا الله فيرجو بها وقال محمد بن كعب القرظي (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال شهادة أن لا إله إلا الله ثم قرأ (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وقوله (كلا) هي حرف ردع لما قبلها وتأكيده لما بعدها (سنكتب ما يقول) أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتعناه وكفره بالله العظيم (ونعد له من العذاب مدا) أي في الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا (ونرثه ما يقول) أي من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال إنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولدا زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ، ولهذا قال تعالى (ويأتينا فردا) أي من المال والولد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونرثه ما يقول) قال نرثه . وقال مجاهد (ونرثه ما يقول) ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ونرثه ما يقول) قال ما عنده وهو قوله (لأوتين مالا وولدا) وفي حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده وقال قتادة (ويأتينا فردا) لا مال له ولا ولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ونرثه ما يقول) قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال (ويأتينا فردا) قال فردا من ذلك لا يقبعه قليل ولا كثير .

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزِمُهُمُ آزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾

يخبر تعالى عن الكفار المشركين برهبهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون لهم تلك الآلهة (عزاً) يعتزون بها ويستنصرونها ثم أخبر أنه ليس الأمر كازعموا ولا يكون ما طمعوا فقال (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي يوم القيامة (ويكونون عليهم ضداً) أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقرأ أبو نهيك (كل سيكفرون بعبادتهم) وقال السدي (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي بعبادة الأوثان وقوله (ويكونون عليهم ضداً) أي بخلاف ما رجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضداً) قال أعوانا قال مجاهد عوناً عليهم تخصمهم وتكذبهم وقال العوفي عن ابن عباس (ويكونون عليهم ضداً) قال قرناء وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدي (ويكونون عليهم ضداً) قال الخصماء الأشداء في الخصومة وقال الضحاك (ويكونون عليهم ضداً) قال أعداء . وقال ابن زيد الضد: البلاء ، وقال عكرمة : الضد الحسرة . وقوله (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تعويهم إغواء ، وقال العوفي عنه تحرضهم على محمد وأصحابه ، وقال مجاهد تشليهم إشلاء ، وقال قتادة ترزعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وقال سفيان الثوري تعريهم إغراء وتسمجهم استمجالاً ، وقال السدي تطغيهم طغياناً ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى (ومن يسعى

عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين) وقوله (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) أى لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم (إنما نعد لهم عدا) أى إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لاجالة إلى عذاب الله ونكاله وقال (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الآية (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) (إنما نعلم لهم ليزدادوا إثماً) (نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقال السدي إنما نعد لهم عدا: السنين والشهور والأيام والساعات ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إنما نعد لهم عدا) قال نعد أنفسهم في الدنيا

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِذًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوه فيما أخبروهم وأطاعوه فيما أمرهم به واتهوا عما عنه زجرهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفدهم القادمون ركباناً ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون الكذوبون للرسول المخالفون لهم فأنهم يساقون عنفاً إلى النار (وردا) عطاء شاقه عطاء ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خاله عن عمرو بن قيس اللأثي عن ابن مرزوق (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رأها وأطيبها ريحا فيقول من أنت فيقول أما تعرفني ؟ فيقول لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن وجهك . فيقول أنا عمك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبتك في الدنيا فهل اركبني فيركبه فذلك قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال ركباناً ، وقال ابن جرير حدثني ابن لثمي حدثنا ابن مهدي عن سعيد بن إسماعيل عن رجل عن أبي هريرة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال طي الإبل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثوري طي الابل النوق ، وقال قتادة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال إلى الجنة : وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا طي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوسا عند طي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشرون الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق اللدني به وزاد عليها رحائل من ذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله . وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن طي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت أبا معاذ البصري قال: إن علياً كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فقال ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عيان فيشربون من إحداها فتفلس ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشمت بأبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فإذا حلقه من ياقوت حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين يا على فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجدا - فيقول ارفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره

فتستخف الحوراء المجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا القيمة التي لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل الأؤلؤ طرائق : أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبها. وفي البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخرج ساقها من وراء الحلل يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه : الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع اللاشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلى الثمار فان شاء أكل قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئاً ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً) فيشتمى الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال أخضر فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أى الألوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم (تلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعلمون) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت لأهل الأرض لأضاءت الشمس معها سواد في نور » هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً وقد روينا في المقدمات من كلام على رضى الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم وقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) أى عطاشاً (لا يملكون الشفاعة) أى ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها، قال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجوا إلا الله عز وجل : وقال ابن أبى حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبى فاخته عن الأسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعنى ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فان الله يقوم يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقيم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فانى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا أنك ان تكلفنى إلى عملى يقربنى من الشر وييسع دنى من الخير وإنى لا أتق إلا برحمتك فأجعل لى عندك عهداً تؤديه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف اليعاد . قال المسعودى فحدثنى زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً إليك . ثم رواه من وجه آخر عن المسعودى بنحوه

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ * وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

لما قرر تعالى فى هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع فى مقام الإنكار على من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً فقال (وقالوا اتخذنا الرحمن ولداً لقد جئتم) أى فى قولكم هذا (شيئاً إذا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أى عظيماً ويقال إذا بكسر الهمزة وفتحها ومع مدها أيضاً ثلاث لغات أشهرها الأولى وقوله (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخسر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً) أى يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بنى آدم إعظاما للرب وإجلالا لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفء له بل هو الأحد الصمد

وفى كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثنى على حدثنا عبد الله حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله (تكاد السموات يتفطرن منه

وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ* أن دعوا للرحمن ولداً) قال إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك إحسان الشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة » فقالوا يارسول الله فمن قالها في صحته ؟ قال « تلك أوجب وأوجب » ثم قال « والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن » هكذا رواه ابن جرير وبشهادة له حديث البطاقة والله أعلم ، وقال الضحاك (تكاد السموات يتفطرن منه) أى يتشققن فرقاً من عظمة الله ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتنشق الأرض أى غضباً له عز وجل وتخر الجبال هدأ قال ابن عباس هدما ، وقال سعيد بن جبيرة هدأ ينكسر بعضها على بعض متابعات ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد القبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال إن الجبل لينادى الجبل باسمه يافلان هل مر بك اليوم ذكرك الله عز وجل ؟ فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لمي للخبر أسمع أفيسمع الزور والباطل إذا قيل ولا يسمع غيره ثم قرأ (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ* أن دعوا للرحمن ولداً) ، وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عجر حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة - أو قال - كان لهم فيها منفعة ولم تزل الأرض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بن آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولداً فلما تكلموا بها اقشعرت الأرض وشاك الشجر . وقال كعب الأخبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد ابن جبيرة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم » وقوله (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) أى لا يصلح له ولا يليق به جلالة وعظمته لأنه لا كفاء له من خلقه لأن جميع الخلائق عبيده ولهذا قال (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدداً) أى قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ذكروهم وأثناهم وصعبرهم وكبيرهم (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) أى لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾

يخبر تعالى أنه يفرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضى الله عز وجل لتتابعها الشريعة المحمدية - يفرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا يحيد عنه وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه - قال - فيحبه جبريل قال ثم ينادى في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض » ورواه مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا
ميمون أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن
العبد ليلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني
ألا وإن رحتي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل
السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر
حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المنة
من الله - قال شريك هي المحبة - والصبية من السماء فإذا أحب الله عبداً قال لجبريل عليه السلام إنى أحب فلانا فينادي
جبريل إن ربكم يمتق - يعني يحب - فلانا فأجابه - أرى شريكاً قد قال فنزل له المحبة في الأرض - وإذا أبغض عبداً قال
لجبريل إنى أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل إن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه - أرى شريكاً قال - فيجري له البغض في
الأرض » غريب ولم يخرجوه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - وهو الدروردي
عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أحب الله
عبداً نادى جبريل إنى قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله عز وجل
(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) » ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة
عن الدروردي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سيجعل لهم الرحمن
وداً) قال حبا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن وداً قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبهم
ويحبهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضاً والضحاك وغيرهم ، وقال العوفي عن ابن عباس أيضاً : الود من
المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق ، وقال قتادة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
وداً) أي والله في قلوب أهل الإيمان ، وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله
بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم ، وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد
يعمل خيراً أو شراً إلا كساه الله عز وجل رداء عمله ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن
ابن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصري رحمه الله قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها فكان
لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فكثرت بذلك سبعة أشهر
وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال لا أراني أذكر إلا بشر لأجعلن عملي
كله لله عز وجل فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمل فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم
الله فلانا الآن وتلا الحسن (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) وقد روى ابن جرير أيضاً أن
هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة
ولم يصح سند ذلك والله أعلم ، وقوله (فإنا يسرناه) يعني القرآن (بلسانك) أي يا محمد وهو اللسان العربي اللين الفصيح
الكامل (لتبشربه التقيين) أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله (وتنزله قومالدا) أي عوجاً عن الحق مائلين إلى الباطل
وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد قوماً لنا لا يستقيمون ، وقال الثوري عن إسماعيل وهو السدي عن أبي صالح (وتنزله
قوماً لداً) عوجاً عن الحق ، وقال الضحاك الألد الحضم وقال القرظي الألد الكذاب ، وقال الحسن البصري (قوماً
لداً) صا وقال غيره صم أذان القلوب ، وقال قتادة قوماً لنا يعني قريشا ، وقال العوفي عن ابن عباس (قوماً لنا)
فجلاً وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وقال ابن زيد : الألد الظلوم وقرأ قوله تعالى (وهو ألد الخصام) وقوله (ولم
أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة كفروا بأيات الله وكذبوا رسله (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) أي
هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزاً قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك

وابن زيد يعني صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا ، والرکز في أصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر : فتوحشت ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها .
آخر تفسير سورة مريم وثقه الحمد والنث . ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه والله الحمد .

(تفسير سورة طه وهي مكية)

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسبار عن همر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة - يعني عبدالرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن شيبة الواسطي حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيرى - أنبأنا إسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفى والحسن وقتادة والضحاك والسدى وابن أبزى أنهم قالوا : طه بمعنى يا رجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى (طه) يعني طأ الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جويرير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال للمشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الأمر كما زعمه البلطون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان بن عمار بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده إنى لم أجعل على وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو اللبى ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب . وقال مجاهد في قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هي كقولهم (فاقروا ما تيسر منه) وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) إن الله أنزل كتابه وبث رسوله رحمة رحمة بها عباده ليتذكروا ذاك وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله (تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى) أى هذا القرآن الذى